



بطل من سراب

عائشة سجاد - المغرب

أصدر قهقهة عالية رددتها من فوقه السماء الحالكة، وعلى جانبيه البنايات الشامخة والدكاكين التي كانت ترقد في نوم عميق، فهمس في أذن الرياح:

«إني مجنون.. لكني لا أريد أن أستعيد رشدي.. أتعلمين.. لا لا.. لا شيء، فقط دعيني أراقصك وهذه الأكياس والقمامة التي تحومين بها.. أريد أن أكون مجنونا حقيقة، لا أحمل هم صغيرة ولا كبيرة.. ولا أركض وراء حلم ولا حق.. ما أروع الجنون!.. أنا مجنون منذ زمن بعيد، ولي في الجنون إجازات وشهادات ودبلومات.. نعم كنت مغفلا مذ وثقت في هذا العالم.. ثم إني،...».

لطمت ورقة وجهه، فضحك ساخرا من نفسه، فنظر إلى السماء بعدما أمسك الورقة في يده وهو يقول: «عجيب أمر هذا العالم، يحقرني البشر.. بل حتى القمامة صارت تلطمني.. على الرحب أيتها الهموم، هزيني.. مزقيني.. شرديني إن شئت، أو اقتليني فقد ألفتك...».

وقف فأسند ظهره إلى عمود الكهرباء يلمح السماء الفاضبة في صمت رهيب.. ألقى بجسده المنهك أرضا فأخذ الورقة يقرأها.. جحظت عيناه فجأة! فقفز من مكانه فرحا يقبل الورقة ويصيح: «مرحبا باللطم إذا كان سيجيء بمثل هذا...».

قرأها من جديد: «مطلوب وجوه جديدة في تمثيل مسرحية، ويشترط في المترشح للدور: إتقان اللغة العربية الفصحى + شهادة في التكوين المسرحي - على الأقل - وذلك قبل العشرين من أكتوبر.»

أنهكه التعب كثيرا، وخدر البرد القارس أطرافه وهو يبحث عن حلم العمر، تتقاذفه الأزقة، فالأحياء.. كلت قدماه، واستجدت معدته من شدة الجوع، أدخل يده في جيب معطفه فأخرج بعض الدراهم فعددها ثم أعادها، اتجه إلى المقهى المقابل له وهو ينفخ في قبضتيه بالتناوب، وجد المقهى شبه فارغ فتفقد ساعته، إنها الثانية ليلا.. احتفى بزواية من زوايا المقهى فأثاء النادل الذي بدا له شبه مستيقظ، فسأله بصوت أغرقه الكسل والخمول حد الثمالة: ماذا تريد سيدي؟

لابد أن الشاب قد أعجبته كلمة سيدي ورفعت من شأنه ولوقليلا، فأجاب: الحساء سيدي النادل لو سمحت. لكن هذا الإحساس لم يطل، فقد انتظر دقائق كثيرة حتى كاد النوم يسرق وعيه، بعدها ناوله النادل البطيء ما طلبه، فشربها بسرعة فائقة قبل أن يصل النادل حيث يقصد..

يا ثقیل الدم يا هذا.. كم الأجرة؟ أجابه بصوت أكثر ثمالة من الأول: ث..ثلا.. ثلاثة دراهم.

ناوله إياها، فخرج بخطى ثقيلة ربما أثقل من خطى النادل، كانت الرياح جد قوية تتلاعب بالأكياس والأوراق والملصقات التي تفرش الشارع، والسماء ملبدة بالغيوم تبعث على النوم العميق في حضن سرير دافئ. قال في نفسه: «تبا.. كما العادة أدور وأحوم وأطوف لكن بلا جدوى».

- يا سعيد.. إنها فرصة العمر لكل هؤلاء العاطلين.. لقد حضر كل من سمع بأمر هذه الفرصة من قريب وبعيد، وتوافرت فيه الشروط.. أخوك له دكتوراه في التاريخ، وأتقن ست لغات، ولي شهادات كثيرة في هذا المجال، لكن حظي ضرب شهاداتي وخبرتي في الصفر.. أخذ الحاضرون يدخلون قاعة الاختبار واحدا واحدا.. فحان دور سعيد.. كان أداؤه رائعا، صفق المختبرون معجبين بما أداه، فقال أحدهم: «إني أضمن لك دور البطولة يا سعيد.. إنك ستبهر الجمهور حقا..!»



فتح عينيه مذعورا.. فرك مقلتيه.. فركها.. ثم فركها.. إنها الساعة الثانية عشرة إلا ربعا، لم يستطع تصديق ما حصل..! فخرج مهرولا والأوراق تحت إبطه دون أن يغير ملابسه التي جاب بها شوارع المدينة واحدا واحدا.. حينما وصل وجد المقر فارغا، لم يكن فيه إلا رجل واحد، ذو بذلة رمادية اللون، يحمل حقيبة بنية في يده.. ركض سعيد نحوه، أنفاسه كادت تسلك آذانه، يلهث في توسل وتضرع:

- س... س... سي.. أرجوك سيدي لقد تأخرت رغما عني.. و..

رماه الرجل بنظرات مهملة ينمقها الكبر واللامبالاة، وقال:

- لقد توقفنا عن استقبال الملفات، كان عدد الأشخاص كبيرا جدا، وكأن أهل المدينة كلهم جاؤوا.. أخذنا ما يكفي وأغلقتنا الموضوع..!

- لكن..

- قلت: انتهى.. وكفى!

لم يرد سعيد ببنت شفة بعد ذلك، فاضت عيناه.. وعاد أدراجه منكسرا، وهو يندب حظه العاثر في قرارة نفسه، ويمزق شهاداته واحدة بعد أخرى.. كما تمزقت أحلامه! ■

هال وكبير، فأخذ يركض إلى بيته: إنه أنا بالطبع، ومن غيري سيتقن ذلك؟!.. مرحى سأصبح ممثلا! مرحى لحلم العمر مرحى!..

دخل بيته مسرورا وقد تلاشى همه تماما، وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحا، نظر إلى نفسه في المرآة فرأى في عينيه احمرارا شديدا من شدة التعب، فقال: «لابد أن أنام قليلا، فهذا مظهر مرعب لا يليق بممث.. ولكن مهلا سأعد المستلزمات والملابس التي سأرتديها، فالיום آخر أجل..»

عندما أعد كل ما يلزمه كانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحا، انكمش فوق سريره، فنام على أمل أن يستيقظ الساعة السابعة صباحا أو قبل، بعدما ضبط المنبه.. كان جد منهك ومتعب، فهو لم ينم منذ يومين من فرط الأرق.

مرت ثلاث الساعات بسرعة البرق، فرن المنبه.. ليلقي بيده الثقيلة عليه فيسكته دون وعي.



ارتدى ملابسه، أخذ أوراقه خفيفا نشيطا، بدا لنفسه أوسم من ذي قبل، انطلق بخفة تحفه السعادة من كل جانب. وصل للمقرر.. كل المترشحين ينظرون إليه.. الأنظار من كل ركن تتجه إليه، فعلت همته، وزاد إعجابه بنفسه أكثر من ذي قبل، تفقد أوراقه من جديد.. «نعم كل شيء مضبوط تماما.. أنا البطل..!» جلس بالقرب من شاب ممتلئ، عريض الكتفين، طويل القامة، عبوس الملامح، دنا منه فسأله:

- ما كل هذه الوجوه؟ ولماذا المكان محتقن هكذا؟ لا تقل: إن كل هؤلاء سيجربون حظهم: فقد لا أصدقك!.

رمقه الشاب بنظرة كالسهم، وأطلق قهقهة هزت المكان، وحولت إليه كل العيون، وقال:

- وماذا تخال يا...!

- سعيد.. نعم سعيد.